٤ . اذا اخذ الشاعر معنىً وعكسه فبدا وكأنه معنى جديد فأنه لايعد سارقا بل هو مجيد (٧٥) وكذلك اذا حول المعنى واجاد فيه(٧٦)

٥ . ولايعد سرقة كل معنى مشترك بين الناس وكذا الالفاظ المتداولة المشتركة التي لايحق لاحد حق الادعاء بابتكارها . وقد رد الامدي على ابن ابي طاهر . لانه خلط بين الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس(٧٧)

اما الحالة التي تعد عيبا على الشاعر فهي اخذ معنى من غيره(٧٨) وافساده او اخذه المعنى بلفظه ونصه(٧٩)

وهكذا عالج الامدي قضية السرقة التي اتهم بها كل من البحتري وابي تمام وميز بين انواعها فالغى كثيرا مما عد عيبا وسرقة .

موقف الجرجاني من السرقات :

واخيراً يأتي القاضي الجرجاني فيقف وقفته الطويلة عند السرقات الشعرية لانها كما قلنا مما اثاره خصوم المتنبي وعدوها عيبا عليه فكان لابد له من الاستماع الى ادلة هذه التهمة . ثم تحليلها وتفنيدها .

فرأى اولاً انه لايحق لاي شخص الحديث عن السرقة الشعرية . لانه باب لاينهض به الا الناقد البصير . العالم المبرز . وليس كل من تعرض له ادركه . ولاكل من ادركه استوفاه . وهو يرى ان هناك مصطلحات ومسميات تخص السرقة ولكل منها مدلولها الخاص الذي لايفهمه الا الناقد العالم . ونجد القاضي الجرجاني مستفيداً من آراء من سبقه وآراء الامدي خاصة في تحليله للشواهد الشعرية او تفصيله لتلك الاراء واعطاء الامثلة والشواهد عليها فالمعاني المشتركة لتلك الآراء واعطاء الامثلة والشواهد عليها فالمعاني المشتركة التي ذكرها الامدي وقف عندها القاضي الجرجاني مبيناً انواعها وذاكرا شواهدها وهي كما يلي : ـ

---

(٧٤) نفسه ٨١

(٧٥) نفسه ١/ ٨٩

(٧٦) نفسه ٩٠ ـ ٩٩

(٧٧) نفسه ١٢٠ ، ١٢١ ، ١١٠

(٧٨) نفسه ٧٠ ، ٥٥ ، ٦٥

(٧٩) نفسه ٩١ ، ٩٤

١ . المعاني المشتركة المستفيضة بين الناس ولا يمكن لاحد ان يدعي حق ابتكارها كتشبيه الحسن بالشمس والبدر . والجواد بالغيث والبحر . والبليد البطيء بالحجر والحمار . والشجاع بالسيف والنار والصب المستهام بالمخبول في حيرته . والسليم في سهره . والسقيم في انينه وتألمه .. وسبب اشتراك الناس في هذه المعاني انها من الامور المتقررة في النفوس . المتصورة في العقول يشترك فيها الناطق والابكم . والفصيح والاعجم(٨٠) وهي بهذا لاتعد سرقة . ان هذا القول يذكرنا بمقولة الجاحظ ولا يخفى تأثر القاضي الجرجاني بقوله عن المعاني المطروحة في الطريق .

٢ . ماكان من المعاني في الاصل مبتدعاً ومخترعاً . ثم شاع استعماله بين الناس فصار كالمشترك المستفيض ولا يحق في هذه الحالة ان يسمى من استعمل مثل هذا المعنى سارقاً . ويريد بهذه المعاني التي اكثر الشعراء من ذكرها وترديدها خاصة مايتعلق بالتشبيهات المتداولة كتشبيه الطلل المحيل بالخط الدارس . والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها والمهاة في حسنها . وصفائها . ويلحق بهذه التشبيهات معان متداولة كالتشاؤم من الغراب والصرد والسائح والبارح وسؤال المنزل عن اهله . والتفجع لمن استبدل بعد ساكنه . ولوم النفس على بكاء الدار(٨١) . اما اذا استعمل شاعر معنى من المعاني المشتركة . ومنحه سمة جمالية خاصة سواء بتعبير جميل او لفظة مستعذبة . فأن ابتداعه هذا يجعله صاحب حق في المعنى المشترك ويصبى وكأنه معنى خاص فاذا اخذه من شاعر اخر عد سارقاً .

وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم في العلم بصنعة الشعر فتشترك الجماعة في الشيء المتداول . وينفرد احدهم بلفظه تستعذب او ترتيب يستحسن . او تأكيد يوضع موضعه او زيادة اهتدى اليها دون غيره فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع والمخترع(٨٢) .

ويلحق بالمعاني المشتركة الالفاظ المشتركة التي هي اساساً اسماء الاماكن والالفاظ المشهورة المبتذلة . ويدخل ضمنها ايضاً الالفاظ الحضارية التي تشيع في بلد ما او في عصر ما . وايراد هذه الالفاظ لايعد سرقة الا اذا وردت بتعبير خاص عند شاعر معين فتصبح كالمعنى الخاص . وفي هذه الحالة فقط يعد الاخذ سارقاً .

---

(٨٠) الوساطة .

(٨١) الوساطة ١٨١

(٨٢) نفسه ١٨٤

اما المعاني الخاصة المبتدعة التي يحق لصاحبها ادعاء ابتكاره لها ويحق للناقد اتهام من اخذها بالسرقة فهي المعاني غير المشتركة التي ابتدعها شاعر معين فبقيت مقرونة به . تذكر مع اسمه ومع الصورة التي ورد فيها معناه . فاذا اخذها متأخر فضح سرقته الا اذا حاول اخراج المعنى الخاص اخراجاً جديداً كأن يضفي عليه شيئاً في التحوير والتغيير او يزيد عليه زيادة تضيف اليه حسنا وجمالاً (وانما يصح في هذا الاخذ اذا اضيفت اليه صنعة لفظ . او وصل بزيادة لفظ)(٨٣) . ان هذه الزيادة التي تجمل المعنى تعطي لصاحبها الحق في امتلاك المعنى فاذا اخذ شاعر يمكن ان يعد سارقاً .

وقد عدد القاضي الجرجاني انواعاً من الاخذ عدها من السرقات المحمودة الحسنة وهو في هذا يستفيد من آراء الامدي الا انه يزيد عليه وضوحاً بايراد الشواهد وتحليلها ومقارنتها بما سبق وما اخذ منها فهو يدخل ضمن السرقة المحمودة مايلي :ـ

١ . اخذ المعنى وايجازه ايجازاً محموداً جميلاً .
٢ . اضافة زيادة الى المعنى تجوده وتجمله .
٣ . تحسين المعنى المأخوذ وتجميله وتوكيده .
٤ . ايراد المعنى القديم ايراداً جديداً كأستعمال معنى خاص في الرثاء وتحويله الى المديح والفخر ... وغير ذلك .

انواع السرقات ومصطلحاتها :

لقد حاول بعض الباحثين استقصاء انواع السرقات التي ذكرها القاضي الجرجاني . ومحاولة وضع حد لكل منها(٨٤) وهي :ـ

١ . النوادر ـ توارد الخواطر : وهو اتفاق شاعرين متعاصرين في المعاني دون قصد ودون ان يدعي احدهما حق المعنى . اويتهم الاخر بالسرقة وقد ذكر الجرجاني ثلاثة واربعمائة شاهد من الشواهد التي ادعى فيها على ابي الطيب المتنبي السرقة وهي ليس بسرقة اصلاً .

---

(٨٣) الوساطة ٣٥٤

(٨٤) هو د . عبده قلقلة في كتابه . القاضي الجرجاني والنقد الادبي ص ٣٣١ وقد اخذنا عنه التعريفات المتعلقة بها .

٢ . السرقة : وهي لاتحتاج الى تعريف بعد ان وضح القاضي الجرجاني حدودها وبين مايمكن ان ينطبق عليها وما لايمكن .
٣ . الاغارة : وهو وضع اليد على شعر الغير واخذه منه قهراً دون مبالاة
٤ . الغصب : وهي مثل الاغارة .
٥ . الاختلاس : وهو اخذ المعنى ونقله الى غرض جديد مع العدول به عن وزنه ونظمه وعن رويه وقافيته . ويبدو ان الاختلاس عند الجرجاني ليس سرقة لانه ليس مفضوحاً وانما يدركه الفطن الذكي فقط .
٦ . الالمام : وهو اخذ المعنى وبعض اللفظ في شيء غير قليل من الخفاء .
٧ . الملاحظة : هي اخذ المعنى مع التقليد والمحاكاة وبذا تكون اكثر من الالمام بقربها من السرقة . واقل ابداعاً فيها .
٨ . التناسب : هو اخذ المعنى وبعض اللفظ مع شيء من المساواة بينهما تبعد الاخذ عن التقاليد والمحاكاة .
٩ . احتذاء المثال : وهو ان يأخذ الشاعر بمذهب غيره في التفكير او التعبير .
١٠ . القلب : وقد عده القاضي الجرجاني من لطيف السرقة لان الشاعر فيه يعكس المعنى الذي يأخذه ويجمله .
١١ . تغيير المنهاج والترتيب : ويريد بها تغيير المعنى المأخوذ لفظاً او تغييره بأضافة ما .

واذا كانت هذه المصطلحات قد استقيت من كتاب الوساطة فأن محاولة الوقوف على شواهد القاضي الجرجاني نفسه اكثر فائدة لانها تطلعنا على تطبيقاته النقدية ونظرته الثاقبة الى معاني الاشعار والتنبه على ماتشابه منها مع ذوق رفيع في التمييز بينها .

التفاضل في المعنى المتداول :

من امثلة تطبيقاته على المعاني المتداولة بين الناس وتفاضل الشعراء في ايرادها قوله ذاكراً معنى متداولاً معروفاً بين الخاصة والعامة وهو تشبيه الورد بالخدود والخدود بالورد نثراً ونظماً . فقد قال الشعراء فيه كثيراً بحيث لايمكن ادعاء السرقة فيه الا بزيادة تصم الى المعنى السابق كقول علي بن الجهم :

عشية حيانـي بـورد كـأنه
خدود اضيفت بعضهن الى بعض

فاضاف (بعضهن الى بعض) وان اخذ فمنه اخذ واليه ينسب .

السرقة الممدوحة :

ومثالها قول ابي دهبل الجمحي :

وكيف انساك لاايديك واحدة
عندي ولا بالذي اوليت من قدم

فقد اخذه من النابغة الذبياني في قوله :

ابي غفلتي اني اذا ماذكرته
تقطع حزن في حشى الجوف داخل
وان تلادى ان نظرت وشكتي
ومهري وما ضمت الي الانامل
حباؤك والعيس العتاق كأنها
هجان المها تردى عليها الرحائل

ويقول القاضي الجرجاني معلقاً على اخذ ابي دهبل المعاني من ابيات النابغة فاذا انصف ابا دهبل عرفت فضله . وشهدت له بالاحسان لانه جمع هذا الكلام الطويل في (ولا ايديك واحدة عندي) ثم اضاف اليه (ولا بالذي اوليت من قدم) فتم المعنى واكده واحسن تأكيده لان الامور قد تنسى اذا طال امدها وتقادم عهدها فنفى عنه وجوه النسيان كلها(٨٥) .

القلب :

ومن لطيف السرعة ماجاء به على وجه القلب وقصد به النقص كقول المتنبي :

أأحبه وأحب فيه ملامة
ان الملامة فيه من اعدائه

---

(٨٥) الوساطة ٢٠٧